

شرح:

كتاب الكبائر

لمؤلفه الإمام:

أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي

لفضيلة الشيخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس (٥٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، سيدنا وسيد ولد آدم أجمعين، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

♦ أما بعد ♦

فمرحباً بالجميع في مجلس علم في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجد قباء، في أول مسجد جامع بني بعد بعثة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا المجلس العلمي نشرح فيه (كتاب الكبائر) للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المسلمين، وقد فرغنا من الكلام عن سبع وأربعين كبيرة علقنا عليها تعليقا علميا، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينفع به قائله وسامعه، ونواصل قراءة ما سطره هذا الإمام الناصح رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونعلق عليه.

[المتن]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

(الكبيرة الثامنة والأربعون): (البغي).

[الشرح]

هذه الكبيرة الثامنة والأربعون بحسب عد الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وهي (البغي). و(البغي) في اللغة: مجاوزة الحد والاعتداء، والمراد به شرعاً: الاعتداء على الناس بالقول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الكبر، والظلم، وأذية المخلوقين.

فيدخل تحته عدة كبائر، قد ذكر الذهبي بعضاً منها سابقاً كـ (الكبر)، ويذكر بعضاً منها لاحقاً كـ (أذية المسلمين)، و(وسم الدابة في وجهها)، و(جدع العبد وتعذيبه) وستأتينا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

فـ(البغي) من أصول الشر التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى؛ هذه أصول الخير كله يعود إليها، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى؛ هذه أصول الشر، الشر كله يعود إليها، ف**(البغى)** من أصول الشر.

قال ابن كثير رحمه الله: **"البَغْيُ: الْعُدْوَانُ عَلَى النَّاسِ"**.

قال السعدي رحمه الله: **"البَغْيُ: كُلُّ عُدْوَانٍ عَلَى الْخَلْقِ فِي الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ"**.

قال البغوي رحمه الله: **"البَغْيُ: الْكِبْرُ وَالظُّلْمُ"**.

قال القرطبي رحمه الله: **"البَغْيُ: هُوَ الْكِبْرُ وَالظُّلْمُ وَالْحَقْدُ وَالتَّعَدِّي"**.

هذا تفسير بالمثال، كل ذكر مثلاً ل**(البغى)**، ويجمعه ما ذكرناه أنه الاعتداء على الناس بالقول أو الفعل أو الاعتقاد كتكفير من لا يستحق التكفير، أو الكبر، وكذلك الظلم، الظلم بغى، وأذية المخلوقين ما قلنا أذية الناس أذية المخلوقين حتى الدواب تدخل في هذا وستأتي النصوص إن شاء الله عز وجل.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

[الشرح]

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ يعني إنما الحرج والطريق للعقوبة واستحقاق العقاب إنما هو

﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، هذا من باب ذكر العام بعد الخاص؛

فالظلم نوع من البغى، ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي يتجاوزون الحد. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ فدل ذلك على أن **(البغى)** من كبائر الذنوب؛ لأن الله جعل على أهله السبيل وتوعدهم

بالعذاب الأليم، فهذا يدل على أن البغى من الكبائر.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا

يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» رواه مسلم.

[الشرم]

❖ هذا الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح يقول فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ»

وهذا يدل على أن السنة وحي، وليس الوحي القرآن فقط كما يدعيه بعضهم ممن يزعمون أنهم قرآنيون، ولو كانوا قرآنيين لآمنوا بالسنة، لكنهم كذابون مفترون يريدون أن يتخلصوا من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا» هذا أمر بالتواضع، وهو ضد الكبر، وقد تقدم الكلام عن هذا عند كلامنا على كبيرة (الكبر). «حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» يعني حتى لا يعتدي أحد على أحد، حتى لا يتجاوز أحد حده الذي جعله الله عَزَّ وَجَلَّ له. «وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» يعني لا يدعي الكبرياء والعظمة على أحد، فيتعظم على خلق الله، يتعظم على الناس.

قال المجد ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "نَهَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَوْعِي الاستِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ، وَهُمَا: الْفَخْرُ وَالْبَغْيُ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَطِيلَ إِنْ اسْتَطَالَ بِحَقِّ فَقْدٍ افْتَحَرَ يَعْنِي إِنْ كَانَ فِيهِ مَا يَسْتَطِيلُ بِهِ كَأَن اسْتَطَالَ بَعْلَمَهُ وَهُوَ عَالَمٌ فَقَدْ افْتَحَرَ أَوْ بَغَيْرِ حَقِّ فَقَدْ بَغَى إِنْ اسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ بِشَيْءٍ هُوَ لَيْسَ فِيهِ فَقْدٌ بَغَى".

قلت: هذا الحديث ذكر الداء والدواء؛ أما الداء فهو الاستطالة على الناس بالبغي عليهم وتجاوز الحد والاعتداء، وبالفخر عليهم والكبر، وأما الدواء فهو التواضع، كلما زاد تواضع الإنسان قلت استطالته على الناس حتى تذهب بالكلية، وكلما قل تواضع الإنسان كلما زادت استطالته على الناس، فالداء الاستطالة بالبغي والفخر، والدواء التواضع.

❖ ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» يعني لا يزال الإنسان يتواضع حتى يذهب عنه البغي بالكلية، ويذهب عنه الكبر بالكلية، ويذهب عنه الفخر بالكلية، فدل ذلك على أن البغي وإن قل محرم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» حتى يذهب البغي كله.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وفي بعض الآثار: «لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَجَعَلَ اللَّهُ الْبَاغِيَ مِنْهُمَا دَكًّا».

[الشرح]

❖ هذا رُوي مرفوعاً: «لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَجَعَلَ اللَّهُ دَكًّا»، ذكره ابن حبان في (المجروحين)

وهو موضوع، المرفوع موضوع. ل

❖ كن جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً أنه قال: «لَوْ أَنَّ جَبَلًا بَغَى عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الْبَاغِي»،

رواه البخاري في (الأدب المفرد) وصححه الألباني. هذا الموقوف على ابن عباس رضي الله عنهما رواه

البخاري في (الأدب المفرد) وصححه الألباني، رحم الله الجميع.

انتبهوا يا إخوة: هذا قول صحابي دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يعلمه الله التأويل ويفقهه

في الدين، يذكر أنه لو أن جبلاً بغى على جبل لدك الباغي عقوبة من الله وأخذاً للحق، هذا في جبل في

جماد، فكيف إذا كان البغي من إنسان على إنسان؟!

لا شك أن الأمر أعظم، وأن الباغي يوشك أن تنزل به العقوبة وهو في الدنيا. فهذا الأثر الموقوف

ينبهننا إلى قضية خطيرة، وهي أن البغي سريع العقوبة حتى لو كان من جماد على جماد، فكيف إذا كان

من إنسان على إنسان؟!

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُرُ

لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

[الشرح]

هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا» نافية، «مِنْ ذَنْبٍ» نكرة في سياق النفي تقدمتها "من"

فتقتضي العموم الشمولي، ما فيه ذنب «أَجْدَرُ» يعني أحق وأقرب «أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي

الدُّنْيَا» يعني أن تأتيه عقوبة في الدنيا «مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ» يعني مع ما أعد الله له من العقوبة في

الآخرة، فليست العقوبة المعجلة مخففة من العقوبة المؤخرة، بل يجمع الله عليه العقوبة المعجلة في الدنيا والعقوبة المؤخرة يوم القيامة: «مِنَ الْبَغْيِ» هذا الأول، «وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ»، فهما أسرع الذنوب عقوبة.

والغالب أن الباغي يرى عاقبة بغيه وهو في الدنيا، يرى عاقبة البغي وهو في الدنيا، وأن قاطع الرحم يرى عقوبة قطيعة الرحم وهو في الدنيا، هذا الغالب تعجل له العقوبة ويراهما بعينه ويعاني منها ويتألم منها وهو في الدنيا، مع ما هو متوعد به من العذاب الشديد يوم القيامة. ويُفهم من هذا أن ضدهما أعجل البر ثواباً؛ فضد البغي وهو (العدل والإحسان)، وضد قطيعة الرحم وهو (صلة الرحم) أعجل البر ثواباً.

❖ وقد جاء هذا صريحاً في صلة الرحم، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا لِّصَلَةِ الرَّحِمِ» رواه ابن حبان والطبراني وقواه الألباني بمجموع طرقه.

الشاهد من هذا الحديث أنه يدل على أن البغي وقطيعة الرحم من أسوأ الذنوب عاقبة؛ لأن الله يعجل عقوبة لهما في الدنيا مع ما يدخره من العقوبة في الآخرة. ولذلك يا إخوة، الذي يقطع رحمه لا ينبغي أن يغتر بأنه يرى أنه يعيش وأنه سعيد مع أهله، سعيد مع زوجته، سعيد مع أولاده، فإنه لا يدري ما يُجَبِّأُ له من العقوبة، وقد يرى العقوبة في بيته، يرى قطيعة أولاده له، وقد تقدم الكلام عن صلة الرحم.

كذلك الباغي لا يغتر بقوته، ويغتر بضعف الناس الذين يتعامل معهم ويبغي عليهم، فإنه لا يدري لعل العقوبة في السحاب، لعلها قريبة، ما يدري، والغالب أن العقوبة تنزل وهو في الدنيا مع ما يدخر من العقوبة في الآخرة والعياذ بالله.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال ابن عون عن عمرو بن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال مالك الرهاوي: يا رسول الله، قد أُعْطِيتُ من الجمال ما ترى، وما أحب أن أحداً يفوقني بشراك، فذاك من البغي؟ قال: «لَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْبَغْيِ، وَلَكِنَّ الْبَغْيَ بَطْرُ الْحَقِّ أَوْ قَالَ: سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ». إسناده قوي.

[الشرم]

هذا الحديث رواه أحمد والحاكم في (المستدرک) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأصله في صحيح مسلم؛ فعن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ**». فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. **قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»**. هذا في صحيح مسلم، وهو عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أيضاً.

في هذه الرواية يقول ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال مالك الرهاوي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (صحابي): يا رسول الله، قد أعطيت من الجمال ما ترى وهبني الله جمالاً، وما أحب أن أحداً يفوقني بشراك يعني بشيء قليل، فأنا أهتم بلباسي ونعلي، فيكون لباسي حسناً ونعلي حسنة وأرجل شعري وأهتم بنفسي من غير مبالغة، لا أحب أن يفوقني أحد في هذه النعمة التي وهبها الله لي وهي الجمال، فذاك من البغي؟ يسأل: هل هذا من البغي؟ وهذا يدلنا على أن الكبر من البغي؛ لأن المتعلق بهذا في الحقيقة هو الكبر.

قال: «**لَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْبَغْيِ**» ليس ذلك من كون الإنسان يحب الجمال من غير مجاوزة الحد الشرعي، هذا ليس بغياً وليس كبراً، بل الله **عَزَّ وَجَلَّ** جميل يحب الجمال، وجعل في فطرة الإنسان أنه يحب الجمال، ولكن البغي بطر الحق أو قال سفه الحق؛ يعني البغي أن يرى الحق سفاهة وتأخراً وأن لا يقبل الحق.

بعض الناس الآن إذا جئته وقلت له حكماً بالدليل من الكتاب والسنة، قال: أنتم تغرقون في التفاصيل! هذه سفاهة، الناس مشغولة وهناك كذا وكذا وأنتم تغرقون في التفاصيل! هذا كبر، يرى الحق سفاهة.

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** علمنا كل شيء، حتى القراءة، حتى آداب قضاء الحاجة. الذي يعترض على ذكر صغير الأحكام التي دلت عليها النصوص هو معترض على كتاب الله ومعترض على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لو كان يعلم!

إذاً الكبر والبغي أن يرى الإنسان الحق سفاهة وتأخراً وأن لا يقبل الحق، ويأتي بأعذار يقول: يا أخي الناس عندها قضايا كبرى وأنتم تتكلمون عن إعفاء اللحية! ما يقبل، تقول له: يا أخي النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَعْفُوا اللَّحَى»، قال: يا أخي هذه تفاصيل! هذا كبر، هذا بغي، وأصلها وهذا البغي في القلب إباء قلبي، ولو لأن القلب للحق لقبل الحق لقبل الإنسان الحق.

«وَعَمَّطُ النَّاسِ» هو احتقار الناس، وأن لا يراهم شيئاً؛ مَنْ أَنْتُمْ؟ أنا فلان، أنا الذي وأنا الذي، فيحتقر الناس ولا يراهم شيئاً بجواره، هذا البغي. وهذا يدل يا إخوة على أن الكبر من البغي؛ لأنه في الحديث الذي في صحيح مسلم كان عن الكبر، وهنا عبر بالبغي، فيدل هذا على ما قدمناه أن الكبر من البغي؛ لأنه تجاوز للحد واعتداء على الناس.

[المتن]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وقد خسف الله بقارون لبغيه وعتوه.

[الشرح]

قارون بغي على قومه كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]، فخسف الله عَزَّ وَجَلَّ به وتجلجل في الأرض كما قال الله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]. قال العلماء: بغي عليهم بأن تجاوز حده كبراً وتعالياً، وأداه ذلك إلى ظلمهم، تعالى عليهم وتكبر.

قالوا: وظهر تعاليه في لباسه فكان يزيد على لباسهم شبراً، كان يزيد شبراً على لباسهم، هو ليس مثل الناس، ولذلك يا إخوة سياطينا أن إطالة الثوب بمجردها من الكبر.

وهذا التعالي والتجبر والاعتزاز بالمال قاده إلى أن يظلم قومه، فكان بغيه التكبر والتجبر والظلم، فعاقبه الله في الدنيا عجل الله له العقوبة في الدنيا خسف به وبداره الأرض.

[المتن]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُذِّبَتْ أَمْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» متفق عليه. والخشاش: الحشرات.

[الشرح]

هذا الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم أخبرنا فيه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن امرأة عذبت في هرة، سبب عذابها هرة سجنها، حبستها ولم تطعمها حتى ماتت، وضعتها في قفص أو غيره ولم تطعمها ولم تسقها ماء حتى ماتت فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، لا هي تركتها تذهب وتطلب رزقها ولا هي التي أطعمتها وسقتها. وفي هذا أن أذية المخلوقات كالحيوانات من البغي ومن كبائر الذنوب؛ أن تؤذي حيواناً لا يحل قتله فتعمل فيه ما يؤدي إلى القتل هذا من كبائر الذنوب؛ لأن هذه المرأة دخلت النار في هذا، وهذا يدل على أنه كبيرة.

وإذا كان هذا في هرة، فكيف بمن يبغي على بشر؟! كيف بمن يبغي على بشر؟! لا شك أنه أعظم، لا شك أن من حرم إنساناً حقه واعتدى عليه لا شك أن فعله أقبح من فعل المرأة التي حبست الهرة، وهذا يدل على أن البغي قد يكون بأذية الحيوانات وأن هذا من كبائر الذنوب، ومن باب أولى إذا كان بأذية بني آدم.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا» متفق عليه.

[الشرح]

ابن عمر رضي الله عنهما يخبرنا أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لعن من فعل هذا الفعل؛ لعن إما أنه بمعنى دعا عليه باللعن، أو أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخبر أن الله لعنه بهذا الفعل، واللعن هو الطرد والبعد من رحمة الله. «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا» شيئاً أي شيء «فِيهِ الرُّوحُ» ولو فأرة ولو هرة «غَرَضًا» أي نصبه ليرمي عليه بالسلاح تدرّباً أو لهواً، وضعه أمامه ربطه مثلاً أو أطلقه وصار يرمي عليه الرصاص أو الرماح إما تدرّباً وإما لهواً يلهو بهذا، هذا قد فعل كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد لعنه، وهذا لا شك أنه بغي؛ لأنه تعذيب للحيوان من غير إذن، وقد جاء النهي عن هذا.

﴿ فعند مسلم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا». نهيٌ والنهي يقتضي التحريم، وهذه العقوبة «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا» تدل على أن هذا التحريم مغلظ وأن هذا الفعل من كبائر الذنوب.

فكيف بمن أخاف معصوماً؟! صار يطلق عليه الرصاص يميناً وشمالاً يخيفه، لا شك أن فعله أقبح، وأنه أولى باللعن ممن اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال أبو مسعود: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا هو يقول: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فقلت: لا أضرب مملوكاً لي بعده. وفي لفظ: فسقط السوط من يدي من هيئته. وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله. فقال: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتِكَ النَّارُ» رواه مسلم.

[الشرح]

هذا الحديث صحيح رواه مسلم في الصحيح، فيه أن أبا مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غضب غضباً شديداً من مملوك له فضربه بالسوط وهو غضبان، قال: فسمعت صوتاً من خلفي يقول: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، قال: فلم أفهم الصوت من الغضب؛ يعني لم أميز الصوت صوت من شدة غضبي، وإلا لو لم يكن غاضباً لعرف صوت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لكنه من شدة غضبه لم يميز الصوت فاستمر يضرب بالسوط، قال: فلما دنا مني يعني فلما قرب مني، "إذا" هذه الفجائية، يعني تفاجأت بأنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا هو يقول: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»؛ أي اعلم أبا مسعود أن قدرة الله على تعذيبك أعظم من قدرتك على تعذيب هذا العبد المملوك، اعلم أبا مسعود أن قدرة الله عليك أعظم من قدرتك عليه.

وفي هذا يا إخوة أن مما يُعالج به البغي والظلم والعدوان أن يتذكر الإنسان دائماً قدرة الله عليه، وأن الله قادر على أن يأخذه، وأن الله قادر على أن يعذبه، وأن يتذكر اليوم الآخر وما يكون فيه.

يقول العلماء: إذا هاج بك الغضب وخشيت الظلم فذكر نفسك بقدرة الله، مما يطفى نار الغضب المحرقة أن تتذكر قدرة الله عليك، فتقابل نار الغضب التي تشعل فيك الرغبة في الانتقام بعلمك ويقينك بقدرة الله عليك مما يكبح جماحك ومما يجعلك لا تندفع وراء الغضب، وأن تتذكر أنك ستقف بين يدي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

❖ **ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المقام قال: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»؛ لأن هذا مما يعالج الغضب ويمنع الظلم: «أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ».**

قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً لي بعده، هذه توبة، وهذا يدل على أنه عزم ألا يضرب مملوكاً ولو من باب التأديب؛ لعظم ما قاله له النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. وفي لفظ: فسقط السوط من يدي من هيئته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ يعني يقول: لما رأيت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وخاطبني سقط السوط من يدي من هيئته، والصحابة كانوا يجلون النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويعظمونه.

والمؤمن ينبغي أن يحل سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويعظمها، والله قد جعل لبنينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هيبة ما رآه أحد إلا هابه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، والذي يحب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يجد الهيبة في نفسه، فإذا ذكر له كلام النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هابه، أبى أن يخالف قوله.

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله، قال العلماء: تطوع بإعتاقه قبل أن يلزم؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما أمره أن يعتقه، لكن هو تطوع خاف من عقاب الله فتطوع بإعتاقه.

❖ **فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ»** يعني أما إنك لو لم تعتقه **«لَلْفَحْتِكَ النَّارُ»** يعني لمستك النار عقوبة لفعلتك. وهذا يدل على أن تجاوز الحد حتى مع المملوك ذكراً كان أو أنثى الذي تملكه وهو مال تجاوز الحد حتى معه بغي ومن كبائر الذنوب، فكيف بتجاوز الحد مع من لا تملك أصلاً؟!

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ؛ فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتَقَهُ» رواه

مسلم.

[الشَّرم]

❖ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا» قال العلماء: أي مملوكاً له ذكراً كان أو أنثى «لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ» يعني لم يفعل سببه، فأقام عليه حدّاً لم يثبت أنه قد فعل الجرم الذي يؤدي إليه، فهو ضربه ظالماً لا مؤدباً ولا مقيماً لحد ثابت؛ فإنه لو ضربه مقيماً لحد ثابت فهذا له، وهذا أحد الأدلة على أن السيد له أن يقيم الحد على عبده؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيد هنا قال: «حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ»، فعلم أنه لو ضربه في حد قد أتاها يعني قد فعل الجرم الذي يترتب عليه الحد وثبت عليه ذلك أنه لا يكون مؤاخذاً بل له ذلك.

«أَوْ لَطَمَهُ» لطمه يعني ضربه على وجهه، وهذا أحد الأدلة على أن لطم الوجه لا يجوز مطلقاً لا في تأديب ولا في غير تأديب.

❖ لاحظوا يا إخوة: في الحد قيده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَمْ يَأْتِهِ»، أما في اللطم أطلقه «أَوْ لَطَمَهُ» يعني على وجهه.

«فَإِنْ كَفَّارَتُهُ أَنْ يُعِقِّقَهُ» فدل على أنه ذنب تترتب عليه كفارة، وهذه من علامات الكبائر: ذنب تترتب عليه الكفارة، فدل ذلك على أن لطم الوجه من البغي ومن الكبائر، لو لطم الرجل زوجته على وجهها فعل كبيرة، لو لطم الرجل ولده على وجهه فعل كبيرة؛ لأنه لو لطم غلامه الذي هو مال يملكه فعل كبيرة.

الناس يتساهلون في ضرب الوجه، ويظنون أن هذا يجوز، يأتي الطفل فيفعل شيئاً خطأ، فيضربه على وجهه، والله لو كنت مؤدباً فعلت حراماً، فعلت كبيرة من كبائر الذنوب، فكيف إذا جمعت بين أمرين: كنت متتقماً لا مؤدباً ولطمته على وجهه؟! الأمر أعظم.

بعض الناس يرى امرأته ضعيفة فيغضب فيضربها كما يقول العامة ليبرّد قلبه، ما هو ليؤدب ليبرّد قلبه! هذا حرام ما يجوز، يضرب ولده ليبرّد قلبه لا ليؤدب! هذا حرام، ولطم الوجه حرام ولو في مقام التأديب وكبيرة من كبائر الذنوب.

فينبغي على كل واحد منا يا إخوة أن يحذر من لطم الوجه، لطم الوجه عند المصيبة كبيرة من كبائر الذنوب، بعض الناس إذا جاءه خبر قالوا السيارة الابن عمل بها حادثاً يضرب وجهه، قالوا أمك دخلت المستشفى يضرب خديه! هذه كبيرة من كبائر الذنوب، ضرب الخد كما تقدم معنا عند المصيبة

من كبائر الذنوب، ضرب الخد ولو للتأديب من كبائر الذنوب.

«فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ» يعني أن يعتق ذلك العبد، فدل على أن البغي بهذا بجلده وضربه حدًّا لم يثبت عليه أو لطم وجهه أن هذا ذنب كبير لا يسلم منه الإنسان إلا بأن يعتقه؛ لأن هذا مملوك. فلو فعل دون العتق ما يكفي هذا إلا أن يستحله، فإذا أحله فقد أسقط حقه، وهذا يدل على عظم هذا الذنب.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال النبي صَلَّى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا» رواه مسلم.

[الشهر]

هذا الحديث رواه مسلم في الصحيح، وله قصة وهو أن أنباطاً من الشام من النصارى لم يدفعوا الجزية، فحبسهم بعض الناس في الشمس، أوقفوهم في الشمس وصبوا عليهم زيتاً، فقال الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قالوا: إنما حبسوا في الجزية يعني في الشمس وعذبوا بهذا، فقال إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا». الجزء من جنس العمل، فكما أن من رحم الناس رَحِمَهُ اللَّهُ، فكذلك من عذب الناس بغير حق عذبه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

هؤلاء نصارى ليسوا مسلمين عذبوا بغير حق، فذكر الصحابي رضوان الله على الصحابة أجمعين ذكر هذا الحديث في هذا المقام، فكيف بمن يعذبون المسلمين بغير حق؟! لا شك أن هذا من البغي، وأنه من كبائر الذنوب، ومن عذب الناس أوشك الله أن يعذبه في الدنيا قبل الآخرة، يعني أوشك أن يصيبه عذاب الله في الدنيا قبل الآخرة، وهذا فيه أن تعذيب الناس وأذية الناس من البغي الذي هو من كبائر الذنوب.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

ومر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بحمار وقد وُسم في وجهه فقال: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ وَسَمَهُ».

وإسناده صحيح.

[الشَّرم]

رواه مسلم في الصحيح، وله شواهد كثيرة ومتابعات ذكرها الإمام مسلم في الصحيح. مر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحمار وقد وُسم في وجهه، والوسم يا إخوة: العلامة بالكي؛ فصاحب الحمار علمه بالكي في وجهه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ وَسَّمَهُ» أي في وجهه، فوسم الحيوان في وجهه حرام وكبيرة من كبائر الذنوب.

أما وسمه في غير وجهه ليميز بذلك فهذا مباح، بل قال جماعة من الفقهاء مستحب في مواشي الصدقة؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسم غنماً بيده الشريفة من غنم الصدقة كما ثبت في الصحيحين عند البخاري ومسلم، فدل هذا على أن الوسم للتمييز في غير الوجه مباح أو مستحب كما قال جماعة من الفقهاء بالنسبة لمواشي الصدقة، أما الوسم في الوجه فحرام وكبيرة من كبائر الذنوب. وفي هذا أن أذية الحيوان من البغي الذي هو كبيرة من كبائر الذنوب، فكيف بأذية الإنسان؟! لا شك أن الأمر أعظم.

[المتن]

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِائَةِ عَامٍ». وهذا على شرط مسلم.

[الشَّرم]

هذا الحديث رواه النسائي في (الكبرى) والحاكم في (المستدرک) وصححه وقال: على شرط مسلم، وقال الحاكم: على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

❖ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً» أي عصمت بالعهد، ليست مسلمة لم تعصم بالإيمان وإنما عصمت بالأمان، «بِغَيْرِ حَقِّهَا» يعني عدواناً وبغياً، «لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» أي إنه يبعد عن الجنة، «وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِائَةِ عَامٍ».

❖ هكذا في هذه الرواية، وجاء عند البخاري: «مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»، وجاء عند الترمذي وابن ماجه: «مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» (سبعين عاماً)، وجاء عند أحمد وابن حبان: «مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ»، وجاء في هذه الرواية: «مَسِيرَةِ خَمْسِائَةِ عَامٍ».

هذا ما دعا بعض أهل العلم إلى القول إن جملة "مسيرة خمسمائة عام" شاذة، لكن الذي يظهر والله أعلم أنها ليست شاذة، وإنما هذا من باب الإخبار؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن ريح الجنة يوجد من مسيرة أربعين عاماً، ثم أخبره الله أنه يوجد من مسيرة سبعين عاماً، ثم أخبره الله أنه يوجد من مسيرة مائة عام، يعني الذي لا يجد ريح الجنة يبعد عن الجنة مسيرة مائة عام، ثم أخبره الله أنها توجد من مسيرة خمسمائة عام، فهو يبعد عن الجنة والعياذ بالله مسيرة خمسمائة عام.

وفي هذا أن أذية المعصوم ولو لم يكن مسلماً من البغي وهي محرمة ومن كبائر الذنوب، فكيف بالمعصوم المسلم؟! المعصوم الكافر الذي عصم بالأمان أذيته من كبائر الذنوب، أذيته بغير حق من كبائر الذنوب، فكيف بأذية المعصوم بالإيمان المسلم؟!

لا شك أن الأمر خطير، وأن الإنسان ينبغي عليه أن يقف مع نفسه وقفات، ويجعل لنفسه قاعدة: أن أخرج من الدنيا ولي على الخلق خير لي من أن أخرج من الدنيا وللخلق عليّ، أن أخرج من الدنيا ولي أنا على الخلق هذا خير لي من أن أخرج من الدنيا وللخلق عليّ.

اترك، اترك شيئاً لك وأسقط، وإياك أن تقترب من أن يكون عليك حق، انتبه يا أخي انتبه، حتى من تبغضه، حتى من تبغضه في الله إياك أن تعتدي عليه، المبتدع الذي تبغضه لبدعته وهذه قرينة إلى الله أن تبغضه لبدعته إياك أن يقودك ذلك إلى العدوان، مثلاً تذهب تتكلم في عرضه أو عن نسائه أو عن بناته.

هذا عدوان، هذا بغي له عليك حق، إياك والبغي بأنواعه، جاهد نفسك وعالج نفسك وأبعد نفسك عن أن تبغي على من تبغض فضلاً عن من تحب، وعلى أن تبغي على البعيد فضلاً عن القريب، الأمر جد خطير، والعقوبة عظيمة، عقوبة يوشك أن تنزل في الدنيا مع ما أعد الله من العقوبة في الآخرة.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يلين قلوبنا جميعاً، وأن يجعلنا من عباده الصالحين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، نقتصر على هذا؛ لأن الكبيرة التالية فيها كلام مهم جداً يتعلق بـ (التكفير)، ونحن في زمن تهاون الناس فيه في التكفير حتى سُلط صغار طلبة العلم على تكفير الناس، فصار الاعتداء في التكفير بغياً، وسنين إن شاء الله أنه بغي.

التكفير حكم شرعي إن كان من أهله على أهله فهذا محمود، أما إن كان من غير أهله فهذا مذموم ولو على أهله، وإن كان على غير أهله فهو مذموم، وهذا سنفصله ونبينه وهذا أمر مهم جداً في هذا الوقت الذي نرى فيه تسليط من لا يحسن أن يتكلم على التكفير والتفسيق والتبديع، هذه الاعتداءات المظلمة التي تخرج عن الحد الشرعي، ولذلك رأيت أن أؤخر الكلام عن هذه الكبيرة إلى المجلس القادم إن شاء الله لنجعلها في مجلس مستقل لنسبط الكلام فيها، لعل الله أن يجعل فيه إيقاظاً لقلوب من يسمع ومن قبلهم من يتكلم بهذا الكلام.

أسأل الله **عَزَّ وَجَلَّ** بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعلني وإياكم من عباده الصالحين الصادقين، وأن يرزقنا الأدب، وأن يرزقنا حسن الخلق، وأن يكفينا شر الاعتداء والأذية بغير حق. وأسأل الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن يعلي رايات السنة وينصر أهل السنة في كل مكان، وأن يظهر السنة في جميع البلدان، وأن يكسر رايات المبتدعة المعتدين الذين يريدون بالحرمين وبزوار الحرمین الخوف والأذى، أسأل الله أن يجعل الخوف في قلوبهم وأن يهلكهم بالرعب، وأن يجعل تدبيرهم تدميراً عليهم، وأن يحفظ للمؤمنين والمؤمنات الحرمین الشریفين ورعاة الحرمین الشریفين، وأن يبقي هذا الأمن الذي ينعم به المؤمنون جميعاً الذين يقدمون إلى هذا البلد أن يبقوه وافراً كاملاً، وأن يجعل هذا التوحيد الذي نراه في بلاد الحرمین فلا نرى مقامات تُعبد ولا نرى رايات للشرك أن يجعله دائماً قائماً محمياً منصوراً.

والله تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.

